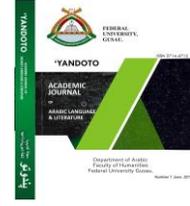


'Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature

ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)



أعمال الأستاذ علي نائبي سويد في بعض تراث الشيخ عبد الله بن فودي العربي: (عرض وتوصيف)

إعداد

الدكتور سليمان إبراهيم غروما، والدكتور عمر عبد الله

مستخلص البحث:

هذه المقالة عبارة عن دراسة بعض أعمال البروفيسور علي نائبي سويد في تراث الشيخ عبد الله بن فودي، ذلك أن الشيخ قد شهد له بالسبق في ميدان العلم والمعرفة لأنه ألف ما يربو على مائة كتاب، ما بين دينية، ولغوية، وسياسية، وأدبية، وهذا ما أدى بالبروفيسور سويد بالقيام بعرض وتوصيف بعض هذه الأعمال في بعض مقالاته الأكاديمية إظهاراً لجدارة هذا التراث بالدراسة.

المقدمة:

اهتم الأستاذ الدكتور علي نائبي سويد بمؤلفات الشيخ "عبد الله بن فودي" اهتماماً بالغاً، واستنفد في تتبعه الوسع، ذلك أن الشيخ عبد الله بن فودي قد أكرمه الله بتفوق الذكاء، والعبقرية النادرة، وحب الاطلاع والتأليف والنشر إلى أن صار فذاً بين أقرانه، مما جعل فضلية الدكتور علي أبو بكر نوّه بشأنه في كتابه: "الثقافة العربية في نيجيريا" إذ قال:

"إن البلاد لتفتخر بمؤلفات هذا العبقري لا لكثرتها وقيمتها فحسب، ولكن لشمولها لمعظم العلوم، من تفسير، وفقه، وتصوف، وتاريخ، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، ومنطق، وعلم الكلام، وعروض، وأدب، ولا شك أنه كان أكبر عالم وكاتب عرفته أفريقيا الغربية، أو يمكن أن تعرفه، فلا غرابة أن يلقيه الناس بعربي السودان لمجهوده الجبار. وفضلاً عن ذلك فهو شاعر مفلق، وقائد بارع، وسياسي محنك".
ليس على الله بمستنكر * * أن يجمع العالم في واحد⁽¹⁾

وتهدف هذه الورقة إلى جمع وتوصيف بعض أعمال البروفيسور علي نائبي سويد في مؤلفات هذا الشيخ لما لها من أهمية كبيرة وفائدة عظيمة، ذلك لتقريب هذه الإنتاجات العلمية إلى الدارسين في الحقل الأكاديمي، لأن كليهما قد أجاد وأفاد. و سنعالج هذه الورقة تحت النقاط التالية:

مستخلص البحث

المقدمة

التعريف بالبروفيسور علي نائبي سويد

عرض وتوصيف لإسهاماته في تراث الشيخ عبد الله بن فودي العربي

الخاتمة

النتائج والتوصيات

قائمة المصادر والمراجع

التعريف بالأستاذ علي نائبي سويد

ينتمي البروفيسور علي نائبي سويد إلى أسرة نوبية أصلها "بدا" استوطنت مدينة كنو في الحي الجديد منها، حيث تيوأ رب هذه الأسرة مكانة اجتماعية موقرة كعالم دين. لقد أسفرت الوثائق التاريخية أن هذه الأسرة كانت أسرة متعلمة، وكان لها نصيب موفور في الثقافة الإسلامية واللغة العربية^(٢)

ولد الأستاذ علي نائبي سويد في المجتمع النيجيري الإسلامي بحارة سابونغيري بمدينة كنو، وذلك في ٢٠ من شهر فبراير سنة ١٩٣٧م على الأرجح، وكان أبوه إماما لأحد مساجد هذه الحارة.

كان الأستاذ علي نائبي محبوبا إلى والده لما خصه الله به، ذلك أن المرحوم كان شبيها بأبيه إلى الغاية من حيث البنية وشكل الوجه والبشرة السوداء، فقد منحه الله ذكاء فائقا وقوة الذاكرة وسرعة العارضة، مما بعث في قلب أبيه طموحا كبيرا أن هذا الولد "المرحوم" هو الذي سيرثه من الناحية العلمية وحسن المعاشرة مع الناس. وقد ورد أن هذا الوالد يرغب ابنه كثيرا في أن يكون مثقفا إسلاميا مما جعل هذا الأب منعه من المواصلة الدراسية في مدرسة الشريعة (LAW SCHOOL) وتولى تعليمه، ولم يكتف بهذا بل يرسله إلى شيوخ آخرين لأخذ العلم في المواد الإسلامية واللغة العربية إلى أن شاءت له مشيئة المولى الالتحاق بمدرسة العلوم العربية، كنو عام ١٩٥٦م.^(٣)

بدأ تعلم الأستاذ علي نائبي عند أبيه الشيخ محمد سويد وذلك بقراءة القرآن الكريم، وبعده تلقى منه مبادئ العلوم الإسلامية، ذلك لأن أباه كان إماما مثقفا في الدين. ثم إنه (الأستاذ نائبي) كان يختلف إلى شيوخ آخرين بمدينة كنو، ولما كان عام ١٩٤٣م رأى أبوه أن ينخرط ابنه في سلك التعليم النظامي فالتحق بمدرسة تُنَدُنْ وَدَا الابتدائية ففضى فيها حوالي ست سنوات.^(٤)

وكانت الدروس التي تلقاها الأستاذ في هذه المدرسة تشمل المواد الإنجليزية والرياضة ولغة الهوسا وآدابها وبعض العلوم الدينية.

وفي سنة ١٩٤٩م عام تخرجه في المدرسة (تندن ودا) التحق بمدرسة أنصار الدين، ودرس فيها بين ١٩٤٩م و١٩٥٣م، ولسبب ما لم يستكمل دراسته في هذه المدرسة، بل واصل تعلمه الدين بين حلقات الشيوخ، فتكوّن من هذه الترددات تكونا علميا حسنا مكّنه من الالتحاق بقسم الدراسات الإسلامية العليا في مدرسة العلوم العربية حيث درس لمدة أربعة أعوام (١٩٥٦-١٩٦٠م).^(٥)

لقد وهب الله هذا الأستاذ الأصدقاء في العلم والاطلاع من زملائه وأساتذته، وكان هذا أول علاقة بينه وبين الدكتور علي أبي بكر العميد الأول النيجيري بهذه المدرسة، فكانت هذه العلاقة علاقة متينة فيها روح الاحترام الكامل. ولقد تأثر الأستاذ بهذا الدكتور أيما تأثر. تخرج الأستاذ علي في هذه المدرسة سنة ١٩٦٠م بدرجة امتياز.^(٦)

التحق الأستاذ علي نائبي بالثانوية الأزهرية عام ١٩٦٢م وهو في ضمن بعثة علمية تضم نخبة من طلاب شمال نيجيريا الواعين، وبعد قضاء عام واحد فيها التحق بجامعة الأزهر وانضم إلى كلية اللغة العربية وقضى فيها أربع سنوات وذلك في أيام إدارة شيخ الأزهر محمود شلتوت، وقبل أن ينهي الأستاذ دراسته في الأزهر أصبح معروفا لدى الخواص والعوام.^(٧)

عاد الأستاذ علي إلى أرض الوطن بعد حصوله على شهادة الليسانس سنة ١٩٦٧م، وفي عام ١٩٦٩م رجع البروفيسور إلى مصر مرة ثانية ليواصل دراسته العليا فالتحق بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، حصل على شهادة الماجستير عام ١٩٧١م وعنوان أطروحته للماجستير هو "دراسة نقدية عن الشعر الذي قيل في وقعة صفين" تحت إشراف البروفيسور محمد نويهي.

ثم إنه بعد نيل شهادة الماجستير آب إلى كلية عبد الله بايرو كنو، محاضرا بقسم اللغة العربية، وبما أن الغاية القصبولأعضاء هيئة التدريس الأكاديمية وصولهم إلى مستوى الدكتوراه، الأمر الذي جعل الأستاذ أن سجل اسمه ليواصل دراسته للحصول على هذه الدرجة بجامعة بايرو، لكنه لم يكمل هذه الدراسة لحادثة حدثت بينه وبين مشرفه آنذاك^(٨)

وخلاصة القول أن الأستاذ علي نائبي لم يحصل على درجة الدكتوراه وهذا ما أثبتته السجلات التايخية، إلا أن المجتمعات العلمية كانت شاهدة على كفاءته أنه قد وصل إلى درجة الدكتوراه منذ أن كان طالبا بالأزهر الشريف، ويؤكد ذلك عدة إنتاجاته العلمية التي قدمها في اللغة العربية وآدابها، وليس هذا قصورا منه، بل دلّت على مكانته العلمية.

أما بالنسبة لدرجة الأستاذية فلقد كان معلوما أن هناك قانونا ونظاما يتبع في نيل هذه الدرجة، ذلك أن المحاضر لن يصل إليها إلا بعد مدة طويلة في الحقل التدريسي الجامعي ثم يكون لديه إنتاجات علمية في شكل الكتب والمقالات، وإذا حان الوقت تطلب إليه الجامعة أن يقدم هذه الإنتاجات لترسلها إلى جامعات أخرى للمراجعة والتقييم، وإذا وافقت كل هذه الجامعات بالنجاح يعتبر ناجحا وإلا فلا.

وبأن الأستاذ علي نائبي قد استوفى الشروط اللازمة لذلك عهدت إليه جامعة بايرو أن يتشرف بتقديم إنتاجاته العلمية للحصول على الدرجة الأستاذية، وكان وقتئذ يمثل أستاذا مشاركا. وفي هذه الحال

أرسلت إليه جامعة عثمان طن فوديو صكوتو بأنها منحتة الدرجة الأستاذية ليكون أستاذا زائرا لقله كبار الأساتذة في قسم اللغة العربية بالجامعة حينذاك، حسب ما قرره الدكتور عبد الحميد شعيب أغاكا. (٩)
أما ما يخص الرسالة التي قدمتها جامعة بايرو بإنتاجات البروفيسور العلمية إلى السودان فاستمع إليه يقول:

"كما كان معلوما أن الجامعة تفعل كل هذه الإجراءات سرا ولا يعلم أحد منا أين أرسلت، ليس لي علم بموقف الرسالة إلا أنني أعرف أن جامعة بايرو أكرمت البروفيسور عبد الله طيب من السودان بالشهادة الفخرية، وخلال هذه المناسبة التقينا معه حيث أشار إليّ بموقف الرسالة. ثم أضاف قائلا: ليس من الضروري أن يحصل الإنسان على شهاة الدكتوراه قبل وصوله إلى الدرجة الأستاذية وإذا نظرت إلى أوروبا ترى أنهم لا يؤمنون بالشهادة بل يقدرون الكفاءة حيث إن الذي يشرف على رسالة الدكتوراه يحصل على الليسانس فقط، ولكن قدرته وطول المدة التي قضاها في المهنة جعلته يكون ماهرا في المجالات العلمية." (١٠)

ومما يدل على عبقرية الأستاذ علي نائبي سويد ما أخبرني من أثق به وهو الدكتور ثاني خامس درما؛ المحاضر بقسم اللغة العربية جامعة بايروا كنو، قال:

"أخبرني من أثق به وهو الأستاذ سليمان الإمام الزكركي وهو ثقة، أخبرني أنه سافر إلى لندن ودخل جامعة لندن وسمعوه يتكلم، وسئل أين تعلمت؟ وقال: جامعة بايرو، وقالوا من عند من ومن؟ وقال: من عند الأستاذ علي نائبي سويد، وقالوا أنت لا تعرفه جيدا نحن الذين نعرفه، ولقد وضعناه في المرتبة السابعة من أعلام اللغة العربية في الدنيا، ولو عاش إلى هذا الوقت الراهن لا رتقى إلى المرتبة الثالثة." (١١)

عرض وتوصيف لإسهاماته في تراث الشيخ عبد الله بن فودي العربي

عني الأستاذ علي نائبي سويد بمؤلفات الأستاذ عبد الله بن فودي وخاصة التي تمت إلى اللغة العربية بحبل الصلة، وبناء على ذلك، رأينا قد حثّ طلابه على الاطلاع على مؤلفات نلکم العبقری، وبذل كل الجهود لإخراجها من الدائرة الإقليمية إلى العالمية، وغاية ما في الأمر أننا نجد بعض طلابه قد قاموا خير قيام بهذه المهمة، على نحو ما رأينا عند الأستاذ الدكتور ثاني خامس درما، -أطال الله بقاءه- الذي قام بتحقيق كتاب "البحر المحيط" تحت إشراف البروفيسور نائبي لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية. وعلى نحو ما لمسنا عند الدكتور حامد الذي نهض بتحقيق الكتاب "الحصين" لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية تحت إشراف هذا الأستاذ.

هذا، لقد نهض الأستاذ علي نائبي سويد خير نهوض بهذه المهمة حيث باشرها هو كذلك، وذلك بعرضه لبعض هذه المؤلفات في مقالات سوف يتناولها الباحثان بالعرض فيما يلي من السطور.

المقالة الأولى: تزيين الورقات للشيخ عبد الله بن فودي، صدرت هذه المقالة في مجلة دراسات عربية، العدد ٣، بكلية بايرو الجامعية حسب تعبيرهم - كنو، قسم اللغة العربية، وذلك عام ١٩٧٧م، وعدد صفحات هذه المقالة أربع عشرة صفحة. ويقول البروفيسور في مدخل هذه المقالة: إن بغيته فيها إنما هي مراجعة يسيرة لما احتوى عليه ذلك الكتاب (تزيين الورقات) الذي يعتبر بحق ديوانا شعريا ألفه الشيخ عبد الله بن فودي رحمة الله عليه، وبين أن عدد أبياته يبلغ حوالي خمسمائة واثنين وخمسين بيتا، وهي تحتوي على عدة موضوعات في إحدى وعشرين قصيدة.

وكذلك فإنه قد أفصح عن أنه اعتمد في هذه الدراسة التي قام بها على نسخة حققها المستشرق الإنجليزي (Mr. M.Hiskett) اعتمادا كلياً، إيماناً بأنها أي النسخة المحققة أفضل وأكمل من غيرها من النسخ غير المحققة.

ثم سجل لنا أنه في عرضه لهذا الديوان سيتناول نقطتين رئيسيتين يراهما كافيتين في إلقاء الضوء على محتوياته إلقاءً صادقاً وأميناً، وهما:

- ١- الطابع العام لأشعار الديوان
- ٢- القيمة الفنية لتلك الأشعار

أما بالنسبة للطابع العام لأشعار الديوان، فقد بين أنه بعد تتبع أشعار الشيخ في الديوان اتضح له أنها لا تخلو عن القصيد من حيث الشكل الفني، إلا أن معظم قصائد الشيخ عبد الله في تزيين الورقات لم تحتفظ بخصائص الشعر العربي التقليدي مثل المقدمة الغزلية والطلبية وتعدد الأغراض في قصيدة واحدة. وذكر أن أطول مقطعات الديوان القصائد التالية.

- ١- القصيدة الحيمية التي مدح بها الشيخ جبريل، وأبياتها أربعة وستون بيتاً مطلعها:-
عج نحو أضواج الأحبة من مج ** واشرب من الأنشاج ماء الزعيج
- ٢- القصيدة الحائية التي مطلعها:-
طربت فأشجاني الطيور الكوالح ** وفرحني منها الغيوث الروائح
- ٣- القصيدة الدالية التي استهلها بقوله:-
ألا من مبلغ عني لداد ** وزيد وكل ثاو في البلاد

ويقول في آخرها:

- فودع الله تمّ بنصر دين ** وليس لنا سوى شكر الأيادي
- ٤- القصيدة البائية التي قالها في مدينة كنو، وأبياتها واحد وأربعون بيتاً، مطلعها:-
ولما مضى صحبي وضاعت مآربي ** وخلفت في الأخلاف أهل الأكاذب
- ثم بيّن - حسب طابع خاص - أن أشعار هذا الديوان لا تخرج في مجموعها عن مجموعتين رئيسيتين وإن كانت بالرغم من أنها -بوجه عام- ذات طابع تاريخي تحمل في طياتها حقائق تاريخية، وهاتان المجموعتان هما:-
- ١- أشعار ذات الطابع الديني والأحاسيس الدينية، وهي الأشعار التي تصور جهاد الشيخ عثمان ووقائعه على أساس مبادئ دينية لا على أساس النعرة القبلية أو المصلحة الشخصية، وهي تسجل أيضاً أن الشيخ وأتباعه كانوا يجاهدون في سبيل الدفاع عن العقيدة الإسلامية. وذكر أن مما يمثل هذا الطابع الديني الأبيات التي نكرها الشيخ عبد الله عقب انتصارهم على سلطان غوبر ينفا في معركة "كب" إذ قال:
- بدأت بحمد الله والشكر يتبع ** على قمح كفار علينا تجمعوا
ليستأصلوا الإسلام والمسلمين من ** بلادهم والله في الفضل أوسع
إلى أن قال:
- فيا أمة الإسلام جدّوا وجاهدوا ** ولا تهنوا فالصبر للنصر يرجع
فليس لما تبني يد الله هادم ** وليس لأمر الله إن جاء مدفع
- أما المجموعة الثانية فهي الأشعار التي تمت إلى الشعر الجاهلي بصلة وتتبع من روحه ولكنها ممزوجة بالمعاني الإسلامية السامية وهي أيضاً قسمان:
- أ- أشعار ذات طابع النقض
ب- أشعار غير ذات طابع النقض
- أثبت الكاتب أن شعر النقائض الذي هو توجه الشاعر إلى شاعر آخر بقصيدة يهجو فيها أو يفخر عليه، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجياً أو مفتخراً كذلك، ملتزماً -دائماً- البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ذكر أن مثل هذا الشعر موجود في تزيين الورقات، ولكنه لا يحتل مكاناً بارزاً فيه. وأفاد كذلك أن نقائض الشيخ -رغم روحها الجاهلية- كانت ممزوجة بالمعاني الإسلامية النبيلة، وضرب مثلاً بأبياته التي رد بها على العالم البرناوي المسمى بالمصطفى المعروف "بغنى" الذي طلب من الشيخ عثمان أن يمنع النساء من الحضور إلى مجلس وعظه. ويقول العالم البرناوي في شعره:-
عليك منا تحيات مباركة ** شمن مسكا وسيكا من يلاقونا

أيا ابن فودي قم تنذر أولى الجهلا ** لعلهم يفقهون الدين والدونا
فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ ** خط الرجال بنسوان كفى شانا
ومن ردود الشيخ عبد الله على الأبيات السابقة ما يأتي:-
يا أيها ذا الذي قد جاء يرشدنا ** سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا
نصحت جهدك لكن ليت تعذرنا ** وقلت سبحان هذا كان بهتاننا
لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا ** كنا نحذر لكن قلت سلمنا
إن كان ذلك ولكن لا أسلم أن ** يترك بالجهل هملا كان إحسانا
قد قيل تحدث للأقوام أفضية ** بقدر ما أحدثوا في ذاك ميزانا^(١٢)
ثم ذكر أن المعني بغير ذات طابع النقص هو الأشعار التي تناول فيها الشيخ المدح والثناء والفخر أو
الإشادة بالانتصارات الحربية، غاية ما في الأمر أن الشيخ عبد الله كان يحتفل احتفالا عظيما بالمعاني
الإسلامية السامية والأخلاق النبيلة وذلك في تناوله المدح والثناء، أما عند ما يتناول الفخر والإشادة
بالانتصارات الحربية فإنه في بعض الأحيان يحتفل بالمعاني الجاهلية من التفاخر بالعصبية القبلية نلمس
ذلك في قصيدته العينية التي يقول فيها:-

ونحن على الإسلام جمع تناصروا ** ولسنا بشيء غيره نترفع

قبائل إسلام قتورب حينما ** فلانينا حوسينا الكل مجمع

قتورب أخوال الفلانين إخوة ** لعرب فمن روم بن عيص تفرع^(١٣).

أما بالنسبة للمدح فإنه يمثل أشعاره فيه، القصيدة الجيمية التي مدح بها شيخه الشيخ جبريل،
وأشار الأستاذ علي نائبي إلى أن هذه من قصائد الديوان القليلة التي اتبع فيها الشيخ عبد الله الطريقة
التقليدية في افتتاح القصائد.

أما ما يمس الرثاء فقد ذكر الأستاذ علي نائبي في هذا المقال أن الشيخ عبد الله كان يذكر لنا
محاسن من يرثيه إلا أن هذه المحاسن لا تخرج عن كونها محاسن إسلامية. وهو في تناوله هذا الفن "فن
الرثاء" لا يبالغ في تصوير شعوره تجاه الميت. ثم جاء بمثال وضرب بالقصيدة التي رثى بها الشيخ عبد الله
أخاه المصطفى فيقول:-

آن ارعواؤك إذ أراك الدار ** بفعالها من أنها غدار

دار يموت بها حبيبك لا ترم ** فرحا بدار صفوها أقدار

فالمصطفى من بيننا هو كاسمه ** مرضينا وأميننا المختار

إن الرزايا فقدنا أمثاله ** لكن رضينا ما قضى الجبار
 سبحان من قد خصه بالعلم والـ ** تقوى وخلق يرتضيه الجار^(١٤)

وفي صفحة ٥٠-٥٣ في تلك المجلة يتحدث الأستاذ علي نائبي عن القيمة الفنية لأشعار تزيين
 الورقات ويقول أن القارئ لا يستطيع أن يتذوق القيمة الفنية لهذه الأشعار تنوقا صحيحا إلا إذا كان على
 علم تام بالظروف والمناسبات التي قيلت فيها كل قصيدة، إذ إن الدراسة لأي عمل أدبي -أيا كان- تكون
 محض تحريف وهجس، إذا لم تربط ربطا وثيقا بهذه الأحوال والأوضاع والظروف إذ هي الطريقة الوحيدة
 التي تساعدنا على فهم تأثر الشاعر بها من ناحية وتأثيره في مجتمعه من ناحية أخرى.

غاية ما في الأمر أن جميع قصائد هذا الديوان في أعلى درجة من القيمة الفنية، لأنها تصور
 الظروف التي قيلت فيها كل قصيدة تصويرا صادقا كما أن معانيها معان صادقة ومطابقة لهذه المناسبات
 وعقيدة الشيخ على السواء لا ادعاء فيها ولا مغالاة.

ومما هو جدير بالتسجيل هنا أن في هذه القصائد كثيرا من الصور البيانية ولعل السر في قوتها
 ووضوحها أنه يستمدّها من البيئة المألوفة له ولمن حوله. وأتى بمثال على هذه الصور البيانية بأبيات من
 قصيدة مدح بها الأستاذ عبد الله شيخه جبريل عمر ويقول هو في معرض الإشادة ببركات الشيخ عثمان
 وأنه نائب مناب الشيخ:

وله شبول نائبون منابه ** والشبل عند السبر مثل الخرج

ويحكم عليها -توجه عام- أنها تختلف فحولة وسهولة باختلاف موضوع كل قصيدة وباختلاف
 الظروف والمناسبات التي قيلت فيها، وهذا حسب ما يقوله الدكتور علي أبو بكر، حيث يلمس القارئ في
 جيميته السالف الذكر أنها مليئة بألفاظ قوية جزلة، وتوجد قصائد أخرى في الديوان ألفاظها سهلة تلائم
 الأسلوب اللغوي الحديث كتلك التي أنشأها في رثاء أخيه المصطفى والتي مطلعها:

آن ارعواؤك إذ أراك الدار ** بفعالها من أنها غدار

وفي الفقرة الأخيرة صفحة ٥٣-٥٤ آخر المقالة تعرض الأستاذ علي نائبي لبعض مآخذ الديوان
 (تزيين الورقات) وسجل باستنكاره كون هذه الأخطاء بأسرها من مسؤولية الشيخ وحده ولا يشاركه فيها
 المحقق، ويقول "إن طبعة بعض هذه الأخطاء لا تعقل أن تصدر من رجل متبحر في العلوم العربية
 والدراسات الإسلامية، الرجل الذي لقب بعربي السودان لكونه عربي الأصل كما يقول هو نفسه في أبيات
 الديوان ولكونه ملما إماما لا يستهان به بلغة العرب".

وكل ما في الأمر، أن الأستاذ علي نائبي سويد قد سجل بعض هذه الأخطاء منها، تأثر هذا الشيخ بالتعبير المحلي الهوسوي في الوقت الذي ينشد باللغة العربية، مثال ذلك قوله في البيت التالي: وأكل الأمان" يعني بذلك الخيانة ويقول: "وهذا لا يخفى لمن يعرف لغة هوسا أنه تعبير محلي"-(١٥).

فرارا من القاضي وأكل الأمان وال * * موالاة للكفار خوف العواقب

ومن ذلك مخالفته للقواعد الصرفية المشهورة للضرورة الشعرية، كقوله في يرى: يرى في البيت التالي:

توارق بين غوبر وينف سفيهم * * يحزبهم والله يرى ويسمع
وقوله في البيت التالي: هوسي في النسبة إلى هوسا، ويقول:

والأجود هوسوي لأنه اسم مقصور ثانية ساكن كما في قولهم: أعلى، ومرمى، أعلوي، ومرموي^(١٦).

قبائل إسلام فتورب حيننا * * فلانينا حوسينا الكل مجمع

أنهى الأستاذ علي نائبي هذا المقال بقوله: "هذه هي أنواع المآخذ التي قد تؤخذ على الشيخ في ديوانه، وكلها -كما ترى- مأخذ هينة لا تقلل من قيمة الشيخ كشاعر وأديب، رحم الله الشيخ رحمة واسعة، وجزاه عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية الجزاء الأوفى^(١٧)."

المقالة الثانية: الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فودي، صدرت هذه المقالة في مجلة دراسات عربية للقسم العربي، جامعة بايرو، كنو، (١٩٨٢)، العدد الخامس:

استهل الأستاذ علي نائبي سويد هذه المقالة بعرض غرضه من إعدادها، وهو عرض يسير لمحتويات كتاب: "الحصن الرصين" للشيخ العالم النيجيري العظيم؛ الشيخ عبد الله بن فودي، ثم ذكر أنه سيتناول بعض نقاط في هذا العرض، وهي:

- ١- مقدمة الكتاب، كما عرضها الشيخ
- ٢- الأبواب الصرفية التي تناولها الشيخ في الكتاب
- ٣- منهج الشيخ في تأليف الكتاب.

ففي مقدمة الكتاب، بين أن القارئ يجد الشيخ في أول أبياته منها يقدم كتابه بالحمدلة والصلاة على النبي، كما يشم القارئ كذلك رائحة الموضوع الذي سيتناوله الشيخ، وهو علم الصرف. ثم إنه أورد الأبيات التي نصت على ما سبق البيان عنه. كما أنه بين أن الشيخ عبد الله -بعد الانتهاء من المقدمة التقليدية- أتى بأبيات بين فيها -بيانا شافيا- مدى شغفه باللغة العربية ومدى تحمسه لها. ثم إنه سجل بيتا

واحدا ينوه فيه الشيخ بمكانة علم الصرف عنده من بين المواد التي تتدرج تحتها الكلمة "اللغة العربية"، وذلك البيت هو كالاتي:

أم العلوم من أبيها أرحم * * بالنحو واجتماع ذين أقوم

فالشيخ عبد الله في هذا البيت الشعري يشبه علم الصرف في الإعانة على فهم اللغة العربية بالأم في إعانة ابنها إعانة خالصة، وشبه علم النحو بالأب في هذه الإعانة.

ففي الصفحة ٩٦ أورد الأستاذ علي نائبي سويد أبياتا ذكرها الشيخ عبد الله وهي تبين الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب، ومن تلك الأبيات ما يأتي:

وعندنا لامية الأفعال * * وشرحها جامعة الأمثال

أهم شيء فيه للطلاب * * وقد أخلا بعض ذي الطلاب

إذ أهملنا التصريف للأسماء * * في النص والمثال والإيماء

إلى أن يقول:

فجاء كالحصن الرصين الجامع * * مدينة الصرف وسور الجامع

ولم أرد إشاعة المفاخر * * على أديب سيد الأكابر

أما الأبواب الصرفية التي طرقها الشيخ في الكتاب، فقد ذكر الأستاذ علي نائبي أن الشيخ عبد الله قد تناول في كتابه "الحصن الرصين" جميع الأقسام التي قسم الصرفيون علم الصرف إليها، وهي ثلاثة أقسام: تصريف الأفعال، وتصريف الأسماء، والإعلال والإبدال، يبلغ عدد أبيات تصريف الأفعال ٥١٦ بيتا، وعدد أبيات تصريف الأسماء يبلغ ٢٦٢ بيتا، على حين بلغت أبياته عن الإعلال والإبدال مائة وخمسين بيتا.

أما بالنسبة للنقطة الثالثة التي هي منهج الشيخ في تأليف الكتاب فقد تحدث عنه، وذكر أن من اطلع على هذا الكتاب يلمس أن صاحبه قد نهج منهجا معينا في تأليفه لذلك الكتاب، وهذا المنهج قد حصره الأستاذ علي نائبي في ثلاث نقاط:

الأولى: التفصيل بعد الإجمال

الثانية: ذكر خلافات اللغويين وآرائهم المتعلقة بأية مسألة صرفية

الثالثة: تدعيم أية قاعدة صرفية بأمثلة كثيرة شافية، مع ذكر ما شذ عنها.

ثم إن الأستاذ علي نائبي تناول هذه النقاط الثلاث بتفصيل موجز الواحدة تلو الأخرى، ويقول في النقطة الأولى ما معناه: إن الشيخ عبد الله قد نهج هذا المنهج (التفصيل بعد الإجمال) وهذا الصنيع كان قد

تماشى مع الفطرة الإنسانية التي مقتضاها جارٍ على أن الجملة أسرع إلى النفس من التفصيل، وضرب مثلا أن الشيخ عبد الله بعد أن انتهى من أبيات مقدمة الكتاب، أتى بأبيات أخرى في أول باب له شملت جميع أقسام علم الصرف، ثم إنه بعد ذلك عمد إلى معالجة كل قسم على حدة بنوع من التفصيل.

فالنقطة الثانية: ذكر خلاقات اللغويين وآرائهم المتعلقة بأية مسألة صرفية، فقد أتى البروفيسور علي نائبي بأمثلة كافية يبرر بها موقفه هذا، ومن بين هذه الأمثلة إيراد الشيخ عبد الله موقف كل من الكسائي والفراء وخليل وسيبويه من كلمة (أشياء) وذلك في معرض حديثه عن القلب المكاني، استمع إليه وهو يقول:

أشياء أفعال لدى الكسائي * * أفعال للفراء من أفعلاء

خليل سيبويه بل لفعاء * * وأصله عندهما فعلاء

ومن ذلك ما نكره عن أصل اشتقاق فعل الأمر، حيث يقرر أن هناك خلافا بين البصريين

والكوفيين، ويقول:

ما الفعل من مخاطب به طلب * * ساقط حرف الآت أمر كاقتراب

فرع مضارع لدى الكوفي * * أصل بنفسه لدى البصري

ثم إن الأستاذ علي أتى بمثال آخر حول هذه النقطة وذلك ما نكره الشيخ عبد الله وهو في معرض حديثه عن الألف المحذوفة في: إقامة واستقامة مصدرى أقام واستقام، ويقول ما ملخصه: "اختلف اللغويون في الألف المحذوفة في مصدرى أقام واستقام، ويرى سيبويه أن المحذوفة هو الألف الثانية لزيادتها وقربها من الطرف الذي هو محل التغيير، ولأن النقل نشأ منها، فوزن إقامة واستقامة عنده أفعال واستعمل على الترتيب، وكذلك ذكر رأي الأخفش والفراء في هذه المسألة ثم عقب كلامه بأبيات الشيخ التي هي:

عوض في الأفعال كالأستفعال * * تا كإقامة بذى الإعلال

وقل حذفها كتصحيحها * * وفي إضافة يجم فيها

هل ألف منقلب أو زائد * * للمد محذوفهما تردد

لسيبويه والخليل الثاني * * للأخفش الفراء أولى ثان

أما النقطة الثالثة: (تدعيم أية قاعدة صرفية بأمثلة كثيرة شافية مع ذكر ما شذ عنها)، فقد ذكر البروفيسور أن الشيخ عبد الله كان مشغولاً بتدعيم أية قاعدة صرفية بالأمثلة وأتى بأمثلة على ذلك، منها ما ذكره الشيخ وهو في صدد حديثه عن الإبدال الضروري في التصريف، وعن مواضع إبدال الواو والياء همزة،

وذكر أن ابن فودي قرر أن ذلك يكون في مواضع أربعة ذاكرا ما شذ عن القاعدة في بعض هذه المواضع، والأبيات التي جاءت في هذه ما يأتي:

يقول الشيخ عبد الله بن فودي:

والضروري منه وطاء مهتدي * * فمن أخير اللين همزة اردد
وعين فاعل الفعل أوجلا * * جامدا إن ما ألفا زيد تلا
ولو بهاء لم تكن أصلية * * صلاة سقاية شاذية
ومطلق المد بكالصحائف * * وثان لينين بكالنيائف
لا كمعيشة أو الطاووس * * عوارف التصحيح من مقيس
شذ مصائب مع المنائر * * كذا ضياون لفرد نادر

ثم إن المرحوم علي نائبي أتى بمثال آخر وذلك ما أشار إليه الشيخ عبد الله بن فودي عند الكلام عن باب فِعْل يَفْعَل بكسر عين الماضي وفتح عين المضارع، أن الغالب الكسير في هذا الباب هو فتح عين المضارع، إلا أنه سمع كسرهما في عدة مواضع، وفي ذلك يقول:

يفتح عينه بنات كسمع * * بالفتح في مواضع الكسر سمع
حسب وحر وعر نعم بئس بئس * * ولغ ومق وهل وحمله يبس
وقيل ذا تداخل اللغات * * عن بعضهم فتح المضىءات

المقالة الثالثة: فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي، صدرت هذه المقالة في مجلة دراسات عربية للقسمة العربي، جامعة بايرو، كنو، (١٩٧٦) :

لقد تناول المرحوم علي نائبي سويد في هذه المقالة دراسة الكتاب "فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي" للشيخ عبد الله بن فودي، وهذه الدراسة تتمثل في عرض ذلكم الكتاب، ويقول في مقدمة المقالة: "إن الغرض الأساسي كما ذكره الشيخ عبد الله من تأليف ذلك المؤلف هو تقريب هذين العلمين إلى أذهان المتعلمين والدارسين في عصره، وذكر أيضا أن هذا الكتاب يحتوي على مقدمة وخمسة فصول ثم خاتمة".

بين الأستاذ علي نائبي أن الشيخ عبد الله تناول في الفصل الأول بحور الشعر الستة عشر المعروفة، والتفاعيل التي تتألف منها تلك البحور، وهي قسمان: الأصلية والفرعية. ولم يفته ذكر أبيات هذا الفصل وهو سبعة عشر بيتا، مطلعها:

وخمسة أو ستة مع العشر * * بحوره من جزأين تنتشر

ثم إنه أفصح أن الفصل الثاني تركز على ألقاب الأبيات، على حين أن الفصل الثالث تناول فيه الزحاف بنوعيه المفرد والمركب. وفي الباب الرابع ذكر أن صاحب الكتاب الشيخ عبد الله بن فودي علامة السودان عالج فيه العلل بأنواعها. وعدد أبياته في هذا الموضوع ثلاثون بيتا مطلعها:

والزيد والنقص إذا كل دخل ** ولازما العروض والضرب علل

والفصل الخامس عقده في تفصيل ما لكل بحر وذكر أن هذا الفصل احتل مكانا بارزا في الكتاب، ذلك عدد أبياته يبلغ تسعين بيتا، يقول الشيخ في أولها:

أولها الطويل نو عروض ** مقبوضة وضربها المقبوض

بعد الصحيح الثالث المحذوف ** بيت القُرور شاهد معروف

ثم ذكر أن الشيخ عبد الله في خاتمة كتابه تحدث حديثا مستفيضا عن علم القوافي، حيث يبلغ عدد أبياتها حوالي ثلاثين بيتا، استهلها بما يأتي:

قافية البيت من المحرك ** من قبل ساكنين غير ذا حكي

تجري روياء وهو حرف تنتسب ** له قصيدة بكل يعجب

يكون بالحروف كلها خلا ** واو وياء ألف زيدت فلا

ثم إن البروفيسور علي نائبي تناول منهج الشيخ عبد الله في تأليف هذا الكتاب، وحصره في نقاط ثلاث:

- ١- مخالفة الشيخ طريقة معظم المؤلفين المحدثين في عرض مواضع العلمين (العروض والقوافي).
- ٢- تدعيم بعض نقطة عروضية بذكر كلمة تمثل بيتا شعريا مشهورا يستشهد به في إيضاح تلك النقطة.
- ٣- التفصيل.

وبعد سرد هذه النقاط الثلاث، فصل القول في كل واحدة منها، وفي

النقطة الأولى: بين أن الشيخ قد خالف المحدثين في كيفية معالجة هذين العلمين، حيث إنهم يعالجون مسائل الزحافات والعلل قبل التحدث عن مسائل البحور، لكن الشيخ لم يتجه إلى تلك الناحية بل تناول بحور الشعر وألقابها قبل الانتقال إلى تناول الزحافات والعلل، كما أن الشيخ عبد الله قد خالفهم كذلك في تخصيصه فصلا مستقلا تناول فيه جميع تفاصيل ما لكل بحر، وذلك للاهتمام به. أما المؤلفون المحدثون، فإنهم لم يتجهوا إلى هذه الناحية لأنهم تناولوا كل بحر مع تفاصيله في مكان واحد. (١٩)

وفيما يمس النقطة الثانية: ذكر الأستاذ أن الدارس إذا تتبع أبيات الشيخ في فتح اللطيف يجده يطلق كلمة وردت في بيت شعري معين قصدا لذلك البيت في قرارة نفسه، ويدل على ذلك صنيعه -وهو في

صدد الحديث عن بحر المديد- إذ إنه بعد الفراغ من ذكر أعاريضه وأضره أتى ببيت يذكر في كلمات تمثل أبياتا شعرية مشهورة ألف العروضيون الاستشهاد بها، فاستمع إليه وهو يقول فيما يمس بحر المديد: كليب^(١)، لا يغر^(٢)، اعلمو أنما^(٣) * * * وللفتى^(٤)، رب، وللخين أنتما

أشار الأستاذ علي نائبي إلى أن الشيخ عبد الله يشير بهذه الكلمات الأربع إلى الأبيات التالية:

١- يا ل بكر أنشروا لي كليباً * * * يا ل بكر أين أين الفرار

٢- لا يغرّ امرأ عيشه * * * كل عيش صائر للزوال

٣- اعلمو أنني لكم حافظ * * * شاهدا ما كنت أو غائبا

٤- للفتى عقل يعيش به * * * حيث تهدي ساقه قدمه

أما النقطة الثالثة التي هي التفصيل بعد الأجمال: فلقد ذكر الأستاذ علي نائبي سويد أنها ظاهرة عامة في مؤلفات الشيخ عبد الله، لأنه لمسها في كتابه الحصن الرصين، وتزيين الورقات، وأقر أنها ظاهرة حسنة تستحق الإشادة والتسجيل لأنه تتماشى مع مقتضى الفطرة الإنسانية، لأن الإنسان يرى الوصف بالنظرة الأولى مجملاً ثم يدرك التفاصيل إذا أعاد النظر وأنعمه فيه. ومما مثل به الأستاذ علي على هذه النقطة صنع الشيخ عبد الله بن فودي في مقدمة الكتاب، إذ قد أشار إلى بعض مواضع العلم على سبيل الأجمال ثم انتقل بعد ذلك يعالج كل موضوع في فصل مستقل على وجه التفصيل. ثم ذكر أيضاً أن من ذلك السلوك سلوكه في الفصل الرابع الذي تحدث فيه عن العلل، فهو قد قدم الموضوع بذكر أنواع العلل على وجه الإجمال، ثم تناول كل نوع بالشرح على وجه التفصيل.

وفي آخر المقالة سجل الأستاذ سويد أن الغرض الأساسي من كتابتها ليس عرض جميع ما تناوله الشيخ من الموضوعات في الكتاب، بل اكتفى بالنقاط التي تحدث عنها، ظناً منه أنها ستلقي ضوءاً كاشفاً على مدى مساهمة هذا الشيخ الكبير في تقريب موضوعات علمي العروض والقوافي إلى المتعلمين والدارسين في عصره.

الخاتمة:

حاولت هذه المقالة إلقاء الضوء على أعمال البروفيسور علي نائبي سويد في بعض تراث الأستاذ عبد الله بن فودي العربي، وأتت بترجمة يسيرة عن البروفيسور كاشفة عن المراحل العلمية التي قطعها، والمناصب العلمية التي ترع عليها، والإنتاجات العلمية التي أنتجها، قبل المضي قدماً إلى دراسة تراث هذا الشيخ العملاق علامة السودان، الشيخ عبد الله فودي، وهذه الأعمال عبارة عن المقالات الأكاديمية التي كتبها البروفيسور نائي وقامت هذه المقالة بدراستها بعد المقدمة و نبذة يسيرة عن البروفيسور.

نتائج البحث:

توصل الباحثان بعد العرض السابق إلى النتائج التالية:

- ١- أن الشيخ عبد الله بن فودي عالم بمعنى الكلمة، نتيجة البضائع العلمية التي خلفه لنا نحن الأجيال الناشئة بعده.
- ٢- أن الشيخ عبد الله دائرة المعارف، وذلك لما أحاطت به مؤلفاته من جوانب المعرفة المتعددة، دينية، ولغوية، وأدبية واجتماعية، وغير ذلك.
- ٣- أن البروفيسور علي نائبي سويد وجّه عنايته الفائقة إلى تراث آبائنا القدامى ودرسه حق الدراسة، على نحو ما لمسناه في أعماله في الأستاذ عبد الله بن فودي.
- ٤- يوصي الباحث زملاءه الدارسين بالإقبال التام على مثل أعمال السابقين في الحقل الأكاديمي لإعطائها حقوقها الدراسية لعموم الفائدة.

قائمة الهوامش والمراجع:

- ١- علي أبو بكر (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا، ط ١، (١٩٧٢م)، مكان الطبع غير مذكور ص: ٢٦٨
- ٢- مجاهد محمد سليمان، الأستاذ علي نائبي سويد وإسهاماته العلمية، بحث مقدم لنيل درجة الليسانس، بالجامعة الإسلامية، جمهورية نيجير، (١٩٩٦)، ص: ٨-٧
- ٣- مجاهد محمد سليمان، المرجع نفسه، ص: ١٧
- ٤- سليمان إبراهيم غروما، البروفيسور علي نائبي سويد حياته وأعماله، بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية بجامعة إورن، لنيل درجة الماجستير، عام ٢٠٠٦م، ص: ١٢
- ٥- سليمان إبراهيم غروما، المرجع نفسه، ص: ١٤
- ٦- جامعة بايرو كنو، دراسات عربية، العدد الأول، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م)، ص: ٥
- ٧- مجاهد محمد سليمان، المرجع السابق، ص: ٢١
- ٨- حوار مع الدكتور عبد الحميد شعيب أكاكا في منزله في مدينة إورن، يوم الأربعاء بالتاريخ ٢٠٠٥/١٩/٢٣م.
- ٩- مجاهد محمد سليمان، المرجع السابق، ص: ٤٥
- ١٠- سليمان إبراهيم غروما، المرجع السابق، ص: ١٧
- ١١- الدكتور علي أبو بكر، المرجع السابق، ص: ٢٦٤

١٢- مجلة دراسات عربية، العدد الخامس، (١٩٨٢)، ص: ٤٥-٤٦

١٣- المرجع نفسه (١٩٨٢)، ص: ٤٥-٤٦

١٤- المرجع نفسه، ص: ٥

١٥- المرجع نفسه، ص: ٥٤

١٦- المرجع نفسه، ص: ٥٤

١٧- جاملمرجع نفسه، ص: ٥٤

١٨- جامعة بايرو، المرجع نفسه، ص: ٥٤

١٩- جامعة بايرو، دراسات عربية، العدد الثالث، (١٩٧٦)، ص: ٩٦